مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من أهم ما يميز تاريخ العصور الوسطى ، تلك اللقاءات التى تمت بين الدولتين البيزنطية والاسلامية ، وهى لقاءات اتخذت شكل العلاقات المباشرة بين الطرفين ، واستمرت قائمة بينهما على امتداد الشطر الأكبر من العصور الوسطى .

والواقع أن هذه العلاقات البيزنطية الاسلامية على امتداد تاريخها الطويل لم تسير على وتيرة واحدة ، وإنما شابها التغير بين آن وآخر ، فهى تارة تتخذ شكل الصراع العسكرى ، ذلك الصراع الذى فرضته طبيعة الحدود المشتركة بينهما واختلاف المصالح ، وتارة أخرى تتمثل فى الأتصال الحضارى ، الذى كان فى واقع الأمر اتصال قمة بين أرقى حضارتين شهدتهما العصور الوسطى وهما الحضارة البيزنطية والحضارة الاسلامية ...

ولكن وسواء كان الاتصال بينهما عسكريا أو حضاريا ، فإنه كان لقاء ندين عرف كل منهما الآخر حق المعرفة وبذل له من التقدير والاحترام ما يستحقه.

ويمثل الموضوع الذى تم معالجته فى هذا البحث حلقة من حلقات المواجهة السياسية بين البيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى ، وهو يشمل فترة زمنية امتدت منذ أواخر العقد الثالث من القرن التاسع الميلادى ، وحتى أوائل الستينات من القرن العاشر . وكان محور هذه العلاقات طوال هذه الحقبة التاريخية ، هى جزيرة كريت التى كانت من ممتلكات الدولة البيزنطية ، ثم فتحها المسلمون فى عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الجزيرة مسرحا للصراع بين المسلمين أصحابها الجدد والبيزنطيين حكامها السابقين .

والحقيقة أن هذا الصراع يعد من أكثر الصفحات تألقا فى تاريخ العلاقات الاسلامية البيزنطية ، نظرا للدور البطولى الذى قام به فاتحو كريت المسلمون ضد العدو البيزنطى ، ورغم أهمية الموضوع ، ألا أن المراجع الحديثة ، وعلى الأخص العربية منها ، لم تعطه حقه من العناية والبحث وهذا ما دعانا إلى إختيار هذا الموضوع بالذات لمعالجته فى هذا البحث .

ومن الأمور التى حرصت عليها ، أن تتم معالجة هذا الموضوع فى ضوء النظرة العريضة الشاملة حتى يمكن الإلمام بصورة واضحة لمسرح الأحداث التاريخية وقتذاك ، خاصة وأن هذا الصراع قد مست جوانبه معظم أنحاء العالم الاسلامى فى المشرق و لمغرب على السواء . لذا فمن الضرورى أن نشمل بالدراسة إلى جانب طرفى النزاع المباشرين وهما بيزنطة وكريت ، الخلافات الاسلامية الثلاث التى وجدت فى العصور الوسطى ، وهى الخلافة العباسية فى المشرق ، والخلافة الأموية فى الأندلس ، والخلافة الفاطمية فى المغرب والدور الذى لعبه كل منهم فى الصراع البيزنطى الاسلامى فى كريت ، سواء كان دورا إيجابيا أو دورا سلبيا ، فضلا عن الإحاطة بجميع العوامل السياسية الأخرى التى كان لها تأثيرها المباشر أو غير المباشر على العلاقات بين بيزنطة وكريت فى الفترة موضوع البحث .

وقد استلزمت هذه الدراسة أن أخصص الفصل الأول من البحث للفتح الاسلامى لكريت وقد عرضت فيه لجغرافية هذه الجزيرة وأهميتها الاستراتيجية وألممت بنبذة تاريخية عنا قبيل الفتح الاسلامى لها ، ثم تتبعت المحاولات المبكرة للمسلمين لغزو كريت والنتائج التى أسفرت عنها هذه المحاولات . وعرضت لتاريخ الاندلسيين فاتحى كريت منذ خروجهم من موطنهم الأصلى فى الأندلس حتى فتحهم للجزيرة ، مع بيان العوامل السياسية الخاصة بالجانب البيزنطى التى مهدت لهذا الفتح وساعدت على نجاحه .

رأسه ، وأرسلت إلى ابو العباس السفاح (١) ، اول الخلفاء العباسيين ، ولم يكتف العباسيون بذلك ، بل نكلوا بأهل هذا الخليفة ، وطاردوهم فى كل مكان (٢) . ومنذ سقوط الخلافة الأموية والأمويون يرغبون فى استعادة ممتلكاتهم السابقة ، واعادة بناء صرح الخلافة الأموية الذى انهار بالمشرق .

اما بالنسبة لمسلمى كريت ، فهم الرعايا السابقين للأمويين ، الذين ثاروا على السلطات فى الأندلس فى ١٣ رمضان عام ٢٠٢ هـ (٢٥ مارس ٨١٨م) ، وانتهى الأمر بطردهم من البلاد ، ثم نزولهم بمدينة الأسكندرية ومشاركتهم فى احداثها السياسية ، حتى خروجهم منها فى عام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) وفتحهم لجزيرة كريت . ويعتبر كتاب الأمير الأموى عبد الرحمن الثانى ، للامبراطور ثيوفيل ، وثيقة تاريخيه هامة ، تؤكد ان هذه الجزيرة كانت تدين بالولاء السياسى للدولة العباسية ، وليس للدولة الأموية بالأندلس ، كما ذكر بعض المؤرخين (٣) .

ورغم ان الأمير عبد الرحمن قد رحب باقتراح الإمبراطور ثيوفيل الخاص بعقد تحالف بينهما ، وأبدى استعداده لقبوله ، الا ان الأحداث التى تعرضت لها كل من الدولتين الأموية والبيزنطية فى الفترة التالية ، لم تتح للطرفين الاستمرار فى المفاوضات الخاصة بهذا المشروع ، فأهمله الجانبان ، وبذلك قضى عليه بصفة نهائية .

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، بويع بالخلافة فى ١٣ ربيع ، الاخر سنة ١٣٢ هـ (نوفمبر ٧٤٩ م) ، وقيل فى النصف من جمادى الاخرة من نفس السنة وتوفى فى ١٢ ذى الحجة ١٣٦ هـ (يونيه ٧٥٤ م) . وعمره آنذاك ثلاث وثلاثين سنة . أنظر المسعودى ، نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) انظر تفاصيل الحروب بين العباسيين والخليفة مروان بن محمد وماارتبط بهذه الحروب من احداث فى المصدر التالى ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ص ١٥٧ – ١٦٤ .

(٣) انظر ، نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٣ . وراجع كذلك الفصل الاول من هذا البحث ، ص ٩٢ ، حاشية رقم (٣) .

عرض وتحليل لمصادر البحث

فيما يتعلق بالمصادر الخاصة بهذا البحث . تجدر الاشارة إلى أن الاستفادة كانت كبيرة من المصادر البيزنطية وخاصة المعاصرة منها ، التى روت تفاصيل الصراع بين بيزنطة وكريت ، وذلك بخلاف المصادر العربيةالمعاصرة والمتأخرة على السواء ، التى أغفلت التعرض لتفاصيل هذا الموضوع ، بإستثناء قلة منها أوردت بعض المعلومات ورغم أهميتها إلا أنها لا تكفى الباحثلتكوين فكرة واضحة عن حقيقة هذا الصراع البيزنطى الكريتى لذلك فأننا ندين بالفضل للمصادر البيزنطية فى إبراز الدور الكبير الذى لعبه مسلمو كريت فى النضال ضد العدو البيزنطى ، وإظهار هذه الصفحة المشرقة والمشرفة فى تاريخ المسلمين فى العصور الوسطى .

والواقع أن الأعتماد أساساً على المصادر البيزنطية فى تتبع أخبار هذا الصراع يوضح مدى الجهد الذى استلزمه معالجة هذا الموضوع حيث أنجميع هذه المصادر اما بلغتها الأصلية وهى اللغة اليونانية ، أو مترجمة إلى اللغة اللاتينية كما هو الحال فى مجموعة بون البيزنطية المعروفة بأسم Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (١) وبقدر ما عانيت من صعوبة قراءة وفهم هذه اللغات ومشقة نقلها إلى لغة عربية سليمة مع الحفاظ على المعنى الذى يقصده المؤرخ ، بقدر ما أرجو أن أكون قد وقفت فى استخلاص مثل هذه المعلومات التاريخية القيمة من مصادرها الأصلية وعرضها باللغة العربية .

---

(١) هذه المجموعة تتكون من خمسين مجلدا ، وتشمل كتابات غالبية المؤرخين البيزنطيين المعاصرين منهم والمتأخرين ، وهى تضم الاصول اليونانية وترجمة لاتينية حرفية لهذه الاصول ، وقد تم نشر هذه المجموعة فى مدينة بون بألمانيا .

ومن المؤرخين البيزنطيين الذين تعرضوا لتفاصيل الصراع بين بيزنطة وكريت الاسلامية المؤرخين التاليين بحسب ترتيبهم الزمنى :

يوحنا كامينياتى :

هو أحد المؤرخين البيزنطيين ، ولد بمدينة سالونيك وعاش بها فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلاديين . وكتابه الذى يعرف بأسم «قهر سالونيك» يعتبر من أكثر المصادر أهمية لموضوع البحث ، إذ إنفرد فيه مؤلفه بسرد التفاصيل الدقيقة للغارة التى قام بها الكريتيون وإخوانهم المسلمين من مصر والشام على المدينة البيزنطية الهامة سالونيك فى عام ٩٠٤ م . ومما زاد فى أهمية هذا المصدر أن كامينياتى كان شاهد عيان لهذه الغارة ، كما أنه وقع أسيرا فى قبضة المسلمين ، وانتهى به المطاف إلى مدينة طرسوس على ساحل قيليقية ومنها عاد مرة أخرى إلى سالونيك بعد أن تم إفتداؤه وبعد عودته إلى بلده دون جميع ما يتعلق بهذه الغارة منذ ظهر الاسطول الاسلامى أمام سالونيك حتى عودته إلى قواعده فى كريت والشام ومصر ، بعد الانتصار التام الذى أحرزه .

وقد تميز أسلوب هذا الكتاب بالطابع الحزين المؤثر ، وذلك يرجع إلى أن مؤلفه عاش المأساة وخاض وقائعها بنفسه . وقد تم الاعتماد على الأصل اليونانى لهذا الكتاب الذى نشر لأول مرة فى عام ١٨٣٨ م فى مجموعة بون البيزنطية . . . . (١) .

قسطنطين بورفيروجينيتوس "Constantin Porphyrogénètus"

هو الامبراطور قسطنطين السابع ، ابن الامبراطور ليو السادس من

---

(١) انظر كتاب يوحنا كامينياتى «قهر سالونيك» ص٤٨٧ وما بعدها باليونانية ، وراجع كذلك :
La grand Encyclopedia, Vol VIII, p 1079

زوجته الرابعة زوى كاربونوبسينا Zoé Carbonopsina . ولد فى عام ٩٠٥ م ، وتوفى فى ٩ نوفمبر ٩٥٩ م .

ورغم أن العرش البيزنطى قد آل إلى قسطنطين السابع بعد وفاة والده ليو السادس فى عام ٩١١ م ، إلا أنه لم يتولى مقاليد الأمور بصفة فعلية إلا فى عام ٩٤٤ م (١) وبعد أن انفرد بالعرش فأنه عهد إلى زوجته هيلين ليكابينوس ووزرائه بتصريف شئون الحكم . ويرجع السبب فى ذلك إلى تفوق النزعة الأدبية عند قسطنطين على النزعة السياسية ، فقد إشتهر بميوله إلى العلم والمعرفة والدراسات التاريخية وأسهم بذلك فى التقدم الفكرى البيزنطى بما أصدره من مؤلفات عديدة ، وما أقدم عليه من تشجيع الآخرين على التأليف . وقد أنفق أموالا طائلة فى سبيل تصنيف كتبا تتضمن نصوصا مختارة من مؤلفات القدماء.

ومن مؤلفات الامبراطور قسطنطين السابع كتاب عن «الثغور » De Thematibus الذى جرى تأليفه فى عام ٩٣٤ م . وهذا الكتاب يعتبر سجل للولايات البيزنطية وحدودها وسكانها ، وإستمد معظم مادته من المؤلفات الجغرافية التى ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وقد رجعت إلى هذا الكتاب عند التعرض لدراسة جغرافية بعض الجزر والبلاد البيزنطية التى ورد ذكرها فى هذا البحث .

أما كتابه عن «إدارة الامبراطورية» De Administrando Imperio الذى أهداه إلى أبنه وولى عهده رومانوس الثانى ، فيحتمل أنه وضعه فى عام ٩٥٣ م ، وقد استهل هذا الكتاب بفصل عن الاقوام التى تجاور الامبراطورية

---

(١) انظر تفاصيل الظروف السياسية التى حالت دون انفراد الامبراطور قسطنطين السابع بالعرش البيزنطى فى الفصل الثالث من هذا البحث .

البيزنطية من جهة الشمال وما قام به هؤلاء الاقوام لا سيما البجناك والروس من دور كبير فى الحياة السياسية والاقتصادية فى القرن العاشر الميلادى . واشتمل هذا الكتاب على العديد من التوجيهات بشأن السياسة الخارجية لبيزنطة ، وعلاقات الامبراطورية بالأمم المجاورة لها . أما أهمية هذا الكتاب بالنسبة للموضوع الذى نحن بصدد معالجته فى هذا البحث فتعتبر محدودة إذ أن الامبراطور قسطنطين تعرض فيه للفتح الاسلامى لكريت بإيجاز ولم يأت بجديد فى هذا الموضوع يخالف فيه المصادر البيزنطية الأخرى التى تعرضت للفتح .

ومن مؤلفات الامبراطور قسطنطين السابع كذلك كتاب «المراسم الامبراطورية» وهو عبارة عن نصوص مختلفة ، يتناول الأباطرة الذين سبقوا قسطنطين ، والذين جاءوا بعده ، لذلك فالمصدر يشتمل على زيادات أضيفت إليه فى فترة متأخرة . وقد أستند فى تأليفه إلى محفوظات القصر الامبراطورى من سجلات رسمية فى العصور المختلفة . وهو يتضمن مادة وافية عن قواعد المعاملة فى البلاط البيزنطى وآداب السلوك ، وكل ما يتعلق بالحياة داخل القصر الامبراطورى من حيث الإدارة المالية للقصر ، والتعميد والزواج وتشييع جنائز الاباطرة وإستقبال السفراء الأجانب وإعداد الحملات الحربية والوظائف والألقاب وأغلب الظن أن تصنيف هذا الكتاب تم فى عام ٩٥٣م

---

(١) بشأن عصر قسطنطين السابع ومؤلفاته أنظر :

Diehl, dans la grande Encyclopedia, tome XXX, pp. 583—584; Barker, Social and Poltitical thought in Byzantium, pp 100—104; Ostrogorsky Histoiy of the Byzantine State, pp 190—191

راجع كذلك هارتمان ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ترجمة الدكتور جوزيف نسيم ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ ، ص ٦—٧ .

وهذا المصدر يعتبر على جانب كبير من الاهمية لموضوع هذا البحث إذ أورد فيه الامبراطور قسطنطين السابع تفاصيل الاستعدادات العسكرية للحملتين الكبيرتين اللتين أرسلتهما الامبراطورية البيزنطية ضد كريت، وجرى ارسال الحملة الأولى فى عام ٩١٠ م فى عصر والده الامبراطور ليو السادس ، على حين أرسلت الحملة الثانية فى عام ٩٤٩م فى عصر قسطنطين السابع نفسه. والواقع أننا ندين بالفضل لهذا المؤرخ فى امدادنا بالمعلومات القيمة عن هاتين الحملتين ، إذ لولاه لطمست معالم هذه الحقبة الهامة فى تاريخ العلاقات البيزنطية الكريتيه، نظرا لأنه لم ترد التفاصيل الخاصة بها فى أى مصدر آخر من المصادر البيزنطية والعربية على السواء . هذا إلى جانب ما أورده هذا الكتاب من تفاصيل الاحتفالات التقليدية التى تقام فى بيزنطة فى حالة احراز النصر على المسلمين وهو ما افادنا أثناء معالجة الفصل الرابع من هذا البحث ، حين عرضنا للاحتفالات التى تمت فى بيزنطة ابتهاجا باسترجاع كريت من يد المسلمين .

وقد نشرت مؤلفات الامبراطور قسطنطين السابع لأول مرة فى مجموعة بون البيزنطية ورجعت فى بحثى إلى الترجمة اللاتينية للكتابين الأول والثانى وعلى الأصل اليونانى للكتاب الثالث .

مؤلف صلة ثيوفان : "Theophanes Continuatus"

لم يعرف على وجه الدقة مؤلف هذا الكتاب ، وان كان بعض المؤرخين المحدثين قد رجحوا أن مؤلفه هو الامبراطور قسطنطين السابع نفسه (١) . والكتاب يبدأ بعرض الاحداث الخاصة بعصر الامبراطور ليو الارمنى (٨١٣–٨٢٠ م) ويسير فى تسلسل زمنى حتى عصر الامبراطور قسطنطين السابع ، وهذا المصدر يمجد الاسرة المقدونية وعلى الأخص مؤسسها باسيل الأول .

(1) Ostrogorosky, History of the Byzantine State, p 187;
رانسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٩٦ .

وقد عنى مؤلف صلة ثيوفان بالاحداث الخاصة بالعلاقات بين بيزنطة وكريت منذ بداية الفتح الاسلامى للجزيرة حتى عصر الامبراطور ليو السادس (٩١١ م) ، لذلك كان الاعتماد على هذا المصدر أمر ضرورى أثناء معالجة العلاقات البيزنطية الكريتية خلال هذه الفترة من الزمن ، وكذلك لمختلف العناصر الجانبية الخاصة بهذا البحث ، مثل تلك التى ساعدت على نجاح الفتح الاسلامى لكريت كثورة توماس الصقلبي والنتائج التى ترتبت عليها. والأخرى التى أثرت على الصراع بين بيزنطة وكريت مثل فتح صقلية ، والحرو ب بين العباسيين والبيزنطيين فى عصر ثيوفيل (٨٢٩ – ٨٤٢ م) وعلاقات بيزنطة بجيرانها الروس والبلغار وغيرها من الموضوعات التى تركت بصماتها الواضحة على العلاقات بين الطرفين فى الفترة موضوع البحث .

وقد نشر هذا الكتاب للمرة الأولى فى عام ١٨٣٨ م فى مجموعة بون البيزنطية .

جينزيوس : "Genesius"

هو المؤرخ البيزنطى جوزيف جينزيوس ، عاش فى أواسط القرن العاشر الميلادى وصنف أثناء حياة الامبراطور قسطنطين السابع فى الفترة من ٩٥٤– ٩٥٩ م كتاب أطلق عليه اسم «تاريخ الملـــوك» "Basiliea" ، بدأه بالأحداث التى تمت خلال عهد الامبراطور ليو الارمينى وأختتمه بوفاة الامبراطور باسيل الأول فى ٨٨٦ م .

وهذا المصدر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهذه الفترة من التاريخ البيزنطى حيث أن جينيزيوس قد أستقى معلوماته التاريخية من شهود العيان من أقربائه الذين كانوا يشغلون مناصب هامة فى البلاط الامبراطورى . كما كان هو نفسه مقربا من الامبراطور قسطنطين السابع ومن ثم فقد أتيح له الاطلاع على الوثائق الهامة المحفوظة بالقصر الامبراطورى .

وقد أهتم جنيزيوس ، شأنه فى ذلك شأن صاحب صلة ثيوفان ، بأيراد مختلف العناصر الجانبية الخاصة بالعلاقات بين بيزنطة وكريت فى الفترة التى

تناولها . وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة فى عام ١٧٣٣ م فى مدينة ليبزج Leipzig فى مجموعة فينيس البيزنطية La Byzantine de Venise ثم نشر من جديد فى عام ١٨٣٤ م فى مجموعة بون البيزنطية (١) .

ثيودوسيوس الشماس :

عاش ثيودوسيوس فى أواسط القرن العاشر الميلادى ، وكان يعمل شماسا فى كنيسة القسطنطينية ، وقد أثار حماسة الانتصار الكبير الذى أحرزه نقفور فوقاس فى كريت أثناء الحملة التى قادها فى عام ٩٦٠ م والتى نجحت فى أستعادتها من أيدى المسلمين ، فألف ملحمة شعرية من خمسة أبواب أسماها «فتح كريت» .

وقد حرص ثيودوسيوس على عدم اظهار هذه الملحمة أثناء حياة الامبراطور رومانوس الثانى خوفا من غيرة هذا الامبراطور من النجاح المطرد للدمستق نقفور فوقاس .. على أنه قدمها لنقفور فى أبريل عام ٩٦٣ م بعد وفاة الامبراطور رومانوس الثانى (٢) .

ورغم أن هذه الملحمة تعتبر من المصادر الهامة والرئيسية التى يمكن الرجوع اليها عند معالجة حملة نقفور فوقاس على كريت ، إلا أنه يجب على الباحث أن يتقبلها بحذر تام ، إذ أن مؤلفها يظهر تحيزا واضحا للجانب البيزنطى ، ويبالغ فى تمجيد جيشه وقائده نقفور فوقاس الذى يطلق عليه ثيودوسيوس اسم «شمس القادة» و «منتقم الرومان» وغيرها من الألقاب البراقة التى تنم عن اعجابه الشديد بهذا القائد وشجاعته وبطولاته النادرة. وهو نفس الاسلوب الذى تتميز به دائما الملاحم الشعرية التى تمجد أعمال القادة العظام وغيرهم من الشخصيات التى يرتبط اسمها بأعمال البطولة .

وقد تم الاعتماد على الاصل اليونانى الذى نشر لأول مرة فى مجموعة بون البيزنطية .

---

(1) La grande Encyclopedia, tome Dix - Huitième, p 732

(2) Schlumberger, Un Empereur Byzantine au Dixieme siécle Nicephore Phocas, p 84

ليون الشماس : "Leon Diaconus"

هو أحد رجال الدين البيزنطيين ، عاش فى النصف الثانى من القـــرن العاشر الميلادى وفى حوالى ٩٩٢ م تقريبا ، وضع مؤلفا عرف باسم «تاريخ ليون الشماس» Leonis Diaconi Historiae تكون من عشرة فصول تناول فيه الاحداث التاريخية البيزنطية فى الفترة من ٩٥٩ — ٩٧٦ م . وعرض للانجازات العسكرية التى قـام بها القائـد ثم الامبراطـور نقفور فوقـاس ، والامبراطور يوحنا تزيمسكس ضد المسلمين والشعوب الأخرى المجـاورة للامبراطورية البيزنطية مثل الروس والبلغار .

وقد خصص ليون الشماس الفصلين الأولين من مؤلفه لعرض الحملـة التى قادها نقفور فوقاس ضد كريت فى عام ٩٦٠ م . وكل التطورات الخاصة بهذه الحملة حتى تم لها فتح الجزيرة وفرض السيادة البيزنطية عليها من جديد . لذلك فقد كان هذا الكتاب من المصادر الاساسية التى اعتمدت عليها فى الفصل الرابع من هذا البحث ، وذلك عند التعرض للاحداث الخاصة باسترجاع بيزنطة لكريت .

والنسخة الخطية لهذا الكتاب موجودة فى مدينة باريس ، وقد قامت دار النشر الفرنسية هاس «Hase» بنشرها للمرة الأولى فى عام ١٨١٩ مع التعليق عليها الذى له جانب كبير من الاهمية ، ثم أعيد طبع نسخة هاس هـذه فى مجموعة بون البيزنطية فى عام ١٨٢٨ م . (١)

كان ذلك عن المصادر البيزنطية ، أما المصادر العربية فبرغم أنها تأت فى المرتبة الثانية بالنسبة للموضوع الاساسى فى هذا البحث وهو العلاقات السياسية (المباشرة) بين بيزنطة وكريت الاسلامية ، إلا أن القليل من هذه المصادر قد انفرد بأيراد بعض الاحداث التاريخية الهامة الخاصة بهذه العلاقات ، ولم نعثر

(1) La grande Encyclopedie, inventaire Raisonné des Sciences, des lettres, des arts, tome vingt, p 32.
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, P.187.

على أية أشارة لها فى المصادر البيزنطية وبذلك تصبح المصادر العربية مكملة للمصادر البيزنطية فى هذا الشأن . فضلا عن الاعتماد على المصادر العربية فى كثير من الاحيان عند معالجة بعض العناصر الجانبية المتفرعة عن موضوع البحث والتى أثرت تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على العلاقات بين بيزنطة وكريت .

وإلى جانب الاعتماد على المصادر التاريخية ، استعنت أيضا بما كتبه الرحالة والجغرافيون وخاصة المعاصرون منهم ، والواقع أن بعض هذه المصادر الجغرافية أوردت من المعلومات الجغرافية والتاريخية على السواء ، ما أنار لنا السبيل فى كثير من الأحيان اثناء معالجة بعض المسائل الجغرافية أو التاريخية الخاصة بالبحث .

وتجدر الاشارة هنا بصفة خاصة إلى بعض المؤرخين المسلمين ، الذين أمدتنا كتبهم بالمعلومات القيمة المفيدة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر المؤرخ المعاصر الطبرى وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، ولد فى عام ٢٢٤ هـ (٨٣٩ م) بمدينة أمل بالقرب من بحر قزوين فى اقليم طبرستان الفارسى ، ولذلك سمى بالطبرى ، وتوفى فى بغداد فى عام ٣١٠ هـ (٩٢٢ — ٩٢٣ م) . (١) .

استفاد الطبرى من خبرة الاساتذة فى بلده ثم رحل فى طلب العلم، ونزل بايران والعراق والشام ومصر ، وكان واسع المعرفة بالاحاديث الاسلامية والقرآن الكريم والفقه والتاريخ وقد وضع الطبرى تفسيرا للقرآن الكريم ، يقال أنه كان فى الأصل أكثر اسهابا مما هو عليه الآن ويقول المؤرخ فيليب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٣٣٢ .

Hitti, History of the Arabs, London, 1937, p. 390.

حتى أن هذا التفسير «يعتبر لا أقدم التفاسير فحسب ، بل أعظم مجمـــوعة للروايات التفسيرية . وقد أصبح مقياسا نسج على منواله المفسرون فيما بعد ، واستمدوا منه معلوماتهم » (١) .

أما كتابه التاريخى المعروف باسم «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» فهو يبدأ منذ بداية الخليقة ، وينتهى حتى عام ٣٠٢ هـ (٨١٥ م) . وقد رتب الطبرى حوادث التاريخ ترتيبا زمنيا ، فجمعها تحت سنوات الهجرة المتعاقبة ، وأتبع فى كتابته الطريقة المحببة إليه وهى عرض الأخبار على طريقة الرواية الدينية المعروفة بالاسناد ولم يقتصر الطبرى على الاستفادة من المصادر الأدبية والتاريخية التى ترجمت عن الفارسية ، والتى كانت موجودة فى عصره بل أضاف حوادث إلى تاريخه من الروايات الشفوية التى جمعها أثناء رحلاته ، ومن المحاضرات التى تلقاها على شيوخه الذين درس على أيديهم فى بغداد وغيرها من مراكز الفكر . ويقول ابن خلكان وهو أحد الذين ترجموا لحياة الطبرى أن «تاريخه من أصح التواريخ وأثبتها» (٢) . ويقال ان النسخة الأصليه من هذا الكتاب تبلغ عشرة امثال النسخة الموجودة الآن (٣).

وقد أولى الطبرى أهتماما كبيرا للعلاقات السياسية بين البيزنطيين أو (الروم) على حد تعبيره ، والمسلمين فى المشرق ، على أنه مما يؤخذ على الطبرى عدم اهتمامه بتتبع أخبار المسلمين بكريت ، رغم أنه كان معاصرا لفترة لا يستهان بها (٢٢٤ — ٣١٠ هـ ٨٣٩ — ٩٢٣ م) من الصراع البيزنطى الكريتى . ويبدو أن السبب فى اغفال الطبرى التعرض لتاريخ كريت الاسلامية ، يرجع إلى عدم معرفته الدقيقة بهذه الجزيرة ، ويتضح ذلك جليا أثناء عرضه الموجز

---

(1) Hitti, op. cit, p.390

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٣٣٣ .

(3) Hitti, op. cit., p. 390.

للفتح الاسلامى لهذه الجزيرة إذ قال أنه بعد مغادرة الاندلسيين للاسكندرية فى ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م «نزلوا جزيرة من جزائر البحر يقال لها اقريطش» (١) .

على أن الاستفادة كانت كبيرة من هذا المصدر فيما يتعلق بالصراع بين العباسيين والبيزنطيين فى عهد الامبراطور ثيوفيل ، هذا الصراع الذى كان له تأثيره على العلاقات بين بيزنطة وكريت . كما كان الطبرى أكثر المؤرخين المسلمين سردا لتفاصيل الغارة التى قام بها البيزنطيون على مدينة دمياط فى عام عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م ، انتقاما للهزائم التى أنزلها بهم مسلمو كريت ، تلك الغارة التى أغفلتها المصادر البيزنطية تماما ، رغم ما حققه فيها البيزنطيون من نجاح .

النعمان :

هو المؤرخ الشيعى أبو حنيفة بن محمد المغربى ، عاش فى المغرب فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، وتوفى فى ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م — ٩٧٤ م . وكان النعمان عالما فى المسائل القضائية والفقهية ، وكان يشغل منصب (القاضى) فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٢) .

وكتاب النعمان المعروف باسم «المجالس والمسايرات» يعد من أهم المصادر التاريخية المعاصرة للخليفة المعز (٩٥٢ — ٩٧٥ م) وقد تناول فيه النعمان علاقة المعز بالامويين فى الأندلس وشرح أسباب العداء الذى قام بينهم وبين الفاطميين ووازن بين قوة كل منهما . كما عرض كذلك لعلاقة المعز بالدولة البيزنطية .

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، الجزء العاشر ، ٢٧٦ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ . ص ص ٤٧٨ — ٤٧٩ .

وترجع أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع البحث إلى أن النعمان قد انفرد دون غيره، من سائر المؤرخين المسلمين والبيزنطيين بأيراد تفاصيل السفارة التى أرسلها مسلمو كريت إلى الخليفة المعز لدين الله وهو فى شمال افريقية يستنجدون به ضد الدولة البيزنطية التى أناخت جيوشها وأساطيلها عليهم فى عام ٩٦٠ م / ٣٤٩ هـ وما دار بين المعز وأعضاء السفارة الكريتية من أحاديث متبادلة . كما انفرد دون المؤرخين جميعا بأيراد نص الكتاب الذى بعث به الخليفة المعز إلى الامبراطور البيزنطى رومانوس الثانى بشأن موضوع كريت . وكذلك نص الخطاب الذى أرسله المعز لكافور الاخشيدى بهدف التعاون معا لنجدة أهالى كريت من القوات البيزنطية المحاصرة لهم .

وهذا الكتاب يتكون من مجلدين ، تمت الاستفادة من المجلد الثانى وهو مايزال مخطوطا وهو موجود بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٠٦٠ .

النويـــرى :

هو أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن شهاب الدين النويرى كان عالما جليلا ومؤرخا وفقيها ، ولد بمصر فى أواخر القرن السابع الهجرى وتوفى بها فى رمضان عام ٧٣٢ هـ / يونية ١٣٣٢ م فى سن الخمسين (١) .

وكتابه الكبير «نهاية الأرب فى فنون الأدب» يتألف من واحد وثلاثين مجلدا طبع منها حتى الآن ١٨ مجلدا ، نشرته دار الكتب المصرية ، وبقية هذه الموسوعة لايزال مخطوطا .

وهذا الكتاب يشتمل على مواد أدبية ولغوية وجغرافية وادارية ودينية وتاريخية وقد قسم النويرى التاريخ الاسلامى إلى دول، فتحدث عن السيرة

(١) فازيليف : العرب والروم ، ترجمة الدكتور عبد الهادى شعيره ، ص ٣٢٨ .

النبوية ، وأخبار الخلفاء الراشدين ، وتعرض لتاريخ الدولة الأموية والدولة العباسية ، والدولة العلوية (الفاطمية) ودول ملوك الاسلام المستقلة بالملك فى عصر الدولة العباسية ، وقد تناول النويرى تاريخ هذه الدول دولة دولة ، فلا ينتقل من سرد تاريخ دولة منها إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة(١).

وقد عرض للفترة المتأخرة من تاريخ امارة اقريطش (كريت) ضمن عرضه لتاريخ مختلف الدول الاسلامية الأخرى وذلك فى المجلد الثانى والعشرين الذى لايزال مخطوطا .

وقد انفرد النويرى من بين المؤرخين المسلمين ، برواية أخبار استعادة بيزنطة لكريت ، ولكن للأسف ، فأن روايته فى هذا الشأن ضعيفة وتخالف الحقائق التاريخية التى وردت فى المصادر البيزنطية ، وقد تمت مناقشة ذلك فى موضعه فى الفصل الرابع من هذا البحث . كما انفرد كذلك دون سائر المؤرخين المسلمين والبيزنطيين على السواء ، بسرد تفاصيل أجبار بيزنطة بعد استعادتها لكريت فى عام ٩٦١ م / ٣٥٠ هـ أهالى الجزيرة المسلمين على ترك دينهم ، واعتناق المسيحية متبعة فى ذلك أعنف الوسائل .

وإلى جانب المصادر من بيزنطة وعربية ، رجعت كذلك إلى أهم المراجع الحديثة مثل تلك التى أهتمت بمعالجة تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، والأخرى التى عرضت للعلاقات البيزنطية الاسلامية بصفة عامة . ومن أهم هذه المراجع مؤلفات المؤرخ الفرنسى شلومبرجيه Schlumberger وعلى الأخص كتاب

Un Empereur Byzantin au Dixième Siecle, Nicephore Phocas.

وهو دراسة تاريخية مسهبة عن نقفورفوقاس وحروبه ضد المسلمين سواء وهو قائد أو بعد اعتلائه للعرش الامبراطورى ، وقد نشر هذا الكتاب فى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ١٩٦٧ من ص ٨٤–٨٥ ، ص ١٩٨ .

باريس فى عام ١٨٩٠ . ومؤلفات المؤرخ الروسى فازيلييف Vasiliev ومنها «تاريخ الامبراطورية البيزنطية» «Hisitore de l'empire Byzantin» الذى بلغ من أهميته أنه ترجم من اللغة الروسية إلى لغات عديدة ، ونشرت احدى هذه الترجمات باللغة الفرنسية فى مدينة باريس فى عام ١٩٣٢ م ، وقد عالج فازيلييف فى هذا الكتاب تاريخ الامبراطورية البيزنطية منذ القرن الرابع الميلادى ، حتى سقوطها فى عام ١٤٥٣ م . ولفازيلييف كتاب آخر يتكون من ثلاث مجلدات عن العلاقات بين المسلمين والدولة البيزنطية وترجمة إلى اللغة الفرنسية المؤرخان جريجوار وكانار ، ونقل الجزء الأول منه إلى اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى شعيره وظهر بعنوان «العرب والروم» ومن أهم المراجع الأجنبية كذلك كتاب المؤرخ الروسى اوستروجورسكى Ostrogorosky الذى كتبه باللغة الالمانية ثم ترجمته المؤرخة الانجليزية هسى Hussey إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان History of the Byzantine State وقد تناول فيه هذا المؤرخ دراسة تاريخ الامبراطوريةالبيزنطية حتى سقوطها فى عام ١٤٥٣ م وأولى اهتماما خاصا للناحية السياسية .

أما المراجع العربية فأهمها لموضوع البحث مؤلفات الأستاذ الدكتورعمر كمال توفيق «الامبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الاراضى المقدسة» وهو دراسة لحروب نقفور فوقاس فى المشرق الاسلامى ،منذ اعتلائه للعـــرش الامبراطورى فى ٩٦٣ م وحتى وفاته فى ٩٦٩ م ، وما تميزت به هذه الحرب من الطابع الدينى ، وكتاب «مقدمات العدوان الصليبى» ، وتناول فيـــه فتوحات الامبراطور يوحنا تزيمسكس فى الشرق الأدنى الاسلامى وأولى اهتماما خاصا لدراسة أحوال المشرق وبشكل خاص فى المرحلة التى سبقت هجـوم تزيمسكس ، كما زود الكتاب بعدة ملاحق على جانب كبير من الأهمية .

والواقع أن هذين الكتابين دراسة تحليلية دقيقة للموضوعات التى عالجهـا المؤلف ، وقد اعتمد فى هذه الدراسة على المصادر من بيزنطة وعربية . أما الكتاب الثالث وهو «تاريخ الامبراطورية البيزنطية». فقد عالج فيه التاريخ البيزنطى بصفة عامة منذ بداية تأسيس القسطنطينية فى عهدالامبراطورقسطنطين الأكبر وحتى سقوطها فى ١٤٥٣ م .

كان هذا عرض سريع لأهم المصادر البيزنطية والعربية المعاصرةوالمتأخرة زمنيا ، التى أنارت لى سبيل البحث والمعرفة فى هذا الموضوع .